مكانة الأسرة في الإسلام

إعداد
د. أحمد زكي
دكتوراه في العقيدة الإسلامية
نائب الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الإسلام دينٌ شاملٌ للحياة، ومن أعظم مقاصده: بناءُ الإنسان، وتأسيسُ المجتمعات الفاضلة، التي يُعبَد الله فيها ويُوحَّد، ويسود فيها شرع الله ويُحكَّم، وتسوده المحبة الإيمانية، والأخلاق الفاضلة، فينشأ المجتمع المسلم قوي البنيان، متين القواعد والأركان، مجتمع الجسد الواحد.

ولما كان المجتمع المسلم يتكون في أصله من مجموعة من الأسَر، فقد أولى الإسلام الأسرة عناية بالغة، فهي اللبنة الأساسية في بناء صرح المجتمع المسلم، وهي النواة الرئيسية في بناء جسد الأمة، فبصلاحها يصلح المجتمع بأكمله، وبفسادها تتفكك أواصر الأمة.

فالأسرة المسلمة هي المدرسة الأولى التي يتخرج فيها الأفراد النافعون في المجتمع؛ ساسة وقادة، وعلماء ودعاة، وزوجات صالحات، وأمهات مربيات.

فحينما كانت العناية بالأسرة واختيار الزوجين الصالحين، وتربية الأبناء على القيم الإسلامية، والأخلاق الفاضلة، تخرَّجت أجيال من العلماء والقادة والحكماء، وقويت شوكت الأمة وعزت وسادت.

وعلى العكس من ذلك، لما أهملت الأسرة دورها في التربية والتوجيه، ظهرت لنا نماذج من الشباب الذي لا يتمسك بدينه، ولا يعتز بقيمه الإسلامية، بل يلهث وراء الغرب وعاداته وتقاليده، فنشأ على الميوعة والانحلال، وظهر التطرف والتشدد من جهة، والتفريط والإلحاد والعقوق من جهة أخرى.

والأسرة المسلمة الصالحة تتكون من زوج صالح يعرف عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، واضعًا نُصب عينيه قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (سورة التحريم: ٦)، وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) (رواه النسائي).

زوج صالح يكون قدوة لأبنائه ولأهل بيته، يُعلمهم العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص منذ نعومة أظفارهم، يأمرهم بالصلاة والصلاح ويعمل به، «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (سورة لقمان: ١٧).

فهو مسؤول عنهم، ومُحاسَب عليهم، ومُعاقَب على تفريطه في تربيتهم، وذلك لأن عين الصغار متعلقة بأفعال الكبار، وفي مقدمتهم الأب، فإن استقام استقاموا، وإن اعوج اعوجوا، وكما قال القائل:

Upload by: altawhedmag.com

مَشَى الطاووسُ يومًا باغوجاج
فقلَّدَ شكلَ مَشيته بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ؟ فقالوا:
بدأتَ به ونحنُ مقلدوهُ
فخالفْ سيرَكَ المعوجَّ واعدلْ
فإنا إنْ عدلتَ معدلوه
أما تدري أبانا كلُّ فرعٍ
يُجاري بالخُطى مَن أدَّبوه؟
وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منا
على ما كان عوَّدَه أبوه
وما دانَ الفتى بحجًى، ولكن
يُعلِّمُهُ التديُّنَ أقربوهُ

وكذلك الزوجة الصالحة والأم المربية التي تُربّي وتعلم، وتُوجّه وتُقوّم، وتُشكّل وجدان الطفل وترسم شخصيته، تُرضعه مكارم الأخلاق كما تُرضعه الحليب واللبن.

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

وكم رأينا من أئمة وعلماء وقادة ربتهم أمهاتهم، ونعم التربية.

فهذا سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث يقول: لما أردتُ طلب العلم قلتُ: يا رب، لا بد لي من معيشة، ورأيتُ العلم يضيع، فقلتُ: أفرغ نفسي في طلبه، وسألتُ الله الكفاية (أن يكفيه أمر الرزق)، فكان من كفاية الله له أن قيّض له أمه، التي قالت له: «يا بنيّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي». (روضة العقلاء).

وهذا أحمد بن حنبل أمام أهل السنة يقول: «حفَّظتني أمي القرآن وأنا ابن عشر سنين وكانت توقظني قبل صلاة الفجر وتُحمي لي ماء الوضوء في ليالي بغداد الباردة، وتُلبسني ملابسي، ثم تتخمر وتتغطى بحجابها، وتذهب معي إلى المسجد؛ لبُعد بيتنا عن المسجد ولظلمة الطريق». التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد).

كانت أم السلطان محمد الفاتح تأخذه وهو صغير وقت الفجر؛ ليشاهد أسوار القسطنطينية وتقول له: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومحمد الصغير يقول: كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبيرة؟! فترد قائلة: بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس. (قصة الإسلام).

وهذه أخت الحافظ ابن حجر.. أمّ بعد الأم! فقد ربّته أخته ستّ الرَكب بنت علي بن محمد بن حجر، قال ابن حجر عنها: "كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء وهي أمي بعد أمي". (الجواهر والدرر في ترجمة الإمام ابن حجر).

فمثل هذه الأسر الصالحة هي التي تربي الأجيال الصالحة التي بصلاحها يصلح المجتمع، وتنهض الأمة، ويعود إليها عزها ومجدها. إنهم الأبناء الصالحون، الذين يبرون والديهم ويحسنون إليهم أحياء، ويدعون لهم أحياء وأمواتا. كما قال تعالى: «وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٤).

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفعُ به، أو ولد صالح يدعو له) (رواه مسلم). وقال أيضا: (إنَّ الرَّجلَ لترفعُ درجتُه في الجنة فيقولُ: أنَّى هذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ) (رواه ابن ماجة).

الأسرة المسلمة أسرة تسودها المحبة، وتملأها السكينة، وتغمرها المودة والرحمة، كما قال سبحانه وتعالى ممتنًا على عباده: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١).

نريد أسرة تنجب أولادًا يعمرون المساجد بالصلاة، ويحفظون القرآن، ويعملون به، ويدافعون عن حياض الدين والوطن.

لكل هذا وغيره، اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة اهتمامًا بالغًا. وانطلاقًا من هذه الأهمية والمكانة سوف يكون باب الأسرة في مجلة التوحيد بابًا ثابتًا -إن شاء الله تعالى-، نتعلم من خلاله كيف تنشأ الأسرة المسلمة، وكيف نُربّي أبناءنا على الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com